ماذا وراء الشحن الإعلامي الإسرائيلي ضد حماس؟!

24-4-2004

لعل أخطر ما نجده من قراءتنا لتحيلات الصحف الإسرائيلية، هو محاولة بث الروح الانهزامية في أوساط الفلسطينيين في أعقاب عمليتي اغتيال الشهيدين ياسين والرنتيسي، وليس أدل على ذلك من التصريحات التي أدلى بها اليوم قائد حرس الحدود الإسرائيلي "دافيد تسور" لصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية والتي زعم فيها أن إسرائيل تعمل بشكل جيد للغاية في داخل حركة حماس من الناحية المخابرية، في إشارة إلى زرع المخابرات الإسرائيلية لعملاء داخل الحركة يسهلون عليها تنفيذ أهدافها.. وهذا أسلوب إسرائيلي دعائي معروف في التوجهات الأمنية الإسرائيلية والذي يهدف إلى بث روح اليأس غي نفوس الفلسطينيين، ومحاولة خداعهم بأنه يوجد حتى من الفلسطينيين من يقوم بالعمل مع إسرائيل

بقلم محمد زيادة

في أعقاب عملية اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في السابع عشر من أبريل أُتخمت الصحف العبرية بمقالات وتحليلات سياسية وعسكرية حول حركة حماس بعد اغتيال كل من الشيخ أحمد ياسين مؤسس الحركة ود. الرنتيسي.

ويبدو للوهلة الأولى من القراءة في دفتر الصحف الإسرائيلية في هذه الآونة أن الحرب باتت علنية بين تل ابيب وحماس على وجه الخصوص، والتي تحظى الحركة الآن بغالبية التأييد في الأراضي الفلسطينية. ورغم أن التحليلات المزودة بتقارير الاستخبارات الاسرائيلية حول تلك الحرب غير المتكافئة في قوتها العسكرية كشفت عن حقيقة المواجهة المفتوحة وطابعها العني، إلا أنها لا تزال تسبب الخوف والقلق للإسرائيليين سواء للقادة أم للشعب على الرغم من المزاعم اليومية حول انخفاض التهديد من قبل حماس بعد استشهاد الرنتيسي.

وفي هذا المقال محاولة لرصد بعض هذه التحليلات والمقالات التي خلصت إلى:

- أن حكومة شارون مصممة الآن وأكثر من أي وقت مضى على مواصلة سلسة الاغتيالات.
- أن حكومة شارون تراهن على مستقبلها السياسي من خلال تقويضها للحركة وشل قدرتها في الدفاع عن الشعب الفلسطيني.
- أن شارون وحكومته يرغبون في نقل هذه الحرب إلى خارج الحدود الفلسطينية وبالتحديد إلى سوريا.
- أن شارون وحكومته قد اختارا طريق الاغتيالات لتحقيق مشروعهم بدعم أمريكي في ظل توسل عربي بالعودة لطريق المفاوضات.

صحيفة "هتسوفيه" التابعة لحزب المفدال الديني، أيدت بشدة عمليات الاغتيال التي يرتكبها سلاح الجو الاسرائيلي ضد قيادات الحركة، واعتبرت عملية اغتيال الرنتيسي أنها تمثل "تحدي خاص" بين شارون والفلسطينيين، مُشيرة إلى أن دماء من وصفته بـ"زعيم الارهابيين" الشيخ أحمد ياسين لم تجف بعد حتى أمطر شارون الحركة بمفاجأة أخرى.. هذا المضمون أشارت إليه صحيفة "معاريف" العبرية في إحدى تحليلاتها للوضع الراهن، وقالت إن هدف عملية اغتيال الرنتيسي لم يكن فقط التخلص من قائد الحركة في قطاع غزة، بل إن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية هدفت إلى إرباك مخططات حركة حماس التي كانت تتمحور جميعها حول الكيفية التي سيتم بها الرد على عملية اغتيال الشيخ أحمد ياسين. وتقول معاريف: "بعد اغتيال الرنتيسي أصبحت الحركة مذبذبة بين كيفية الرد على العمليتين وبين الاحتياطات والتغيير الاستراتيجي الواجب تطبيقه في هيكل الحركة للنجاة مما أسمته بمقصلة شارون".

وبصرف النظر عن صحة هذه الأقوال الإسرائيلية، فإنه من الواضح من خلال التحليلات الإسرائيلية للفترة الحالية أن حركة حماس تشهد تغييرات بشكل يومي داخلها بعد اغتيال الرنتيسي، ودليل ذلك هو الاستجابة الفورية من أعضاء وقيادات الحركة في غزة لنداء القادة العام للحركة "خالد مشعل" بضرورة تعيين قائد جديد للحركة دون الإعلان عن اسمه، وهو ما دعا الكاتب الإسرائيلي "حامي شاليف" في صحيفة معاريف إلى القول : "إن استجابة الحركة لهذا النداء بشكل فوري إنما تؤكد على أن هناك اتفاقاً ولو غير معلن بين قيادات وأعضاء الحركة في الخارج والداخل على إجراء تغييرات استراتيجية واسعة بشأن عمل الحركة في الفترة القادمة منذ اغتيال الرنتيسي".

تقارير أمنية متضاربة

وهنا يكشف الكاتب الإسرائيلي بأن رؤيته تتطابق ورؤية الأجهزة المخابرية الإسرائيلية، وحاولت إسرائيل التقليل من هذه التغييرات الحاصلة على تعامل الحركة مع المستجدات اليومية، فعمدت أجهزة المخابرات الإسرائيلية إلى شحذ عناصرها في وسائل الإعلام

الاسرائيلية للتقليل من إخفاء حماس لاسم قائدها الجديد في غزة، إلا أن المخطط الإعلامي الإسرائيلي في هذا الشأن اصطدم بالفشل، وهو ما أكدته مصادر أمنية للقناة الثانية للتلفاز الإسرائيلي بأن محاولة التقليل من التغييرات في تعامل حماس مع الأمور إنما يأتي كمحاولة من شارون وأجهزته الأمنية لاستمرار السيطرة على الأمور ووضع حماس دائما في بؤرة "رد الفعل" وهو ما يحدث الآن منذ اغتيال الشيخ أحمد ياسين.

ويبدو هذا التضارب جليا في بيانات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي قامت بتسريبها للصحف الإسرائيلية، فنجد صحيفة هاارتس الإسرائيلية تشير في عددها يوم 18-4-2004م إلى أن القيادي للحركة في قطاع غزة هو "محمد ضيف" أحد كبار المطلوبين لدى السلطات الأمنية الإسرائيلية، والمسؤول عن العمليات العسكرية لحركة حماس.. في نفس اليوم خرجت فيه صحيفة معاريف بتقرير أكدت أنه نقلاً عن مصدر أمني كبير أوضح فيه أن المخابرات الإسرائيلية تيقنت من أن القائد الجديد لحركة حماس في غزة هو الدكتور"محمود الزهار"!

هذا التضارب الإعلامي الناتج عن التسريبات الأمنية ليس مقصوداً كما حاول بعض الإسرائيليين الزعم بذلك، بل هو دليل واضح على عدم تمكن الأجهزة الإسرائيلية المخابرية والأمنية من معرفة أول التغييرات الجديدة على هيكلة حركة حماس وهو اسم قائدها الجديد في قطاع غزة، وهو الأمر الذي يخشى بعض المراقبين الإسرائيليين من استمراره لأنه -حسب تاكيداتهم- سيقلل من الخسائر التي ستلحق بالحركة في المرحلة المقبلة، بل سيزيد من قوة وصمود الحركة، واستعادة ثقة العديد من الفلسطينيين مرة أخرى، هذا في ظل التوجه الجديد الذي يُنادي به الجميع من خارج فلسطين وداخلها بضرورة محاربة رأس الفساد في الحركة المتمثل في "العملاء"، وهو على ما يبدو التوجه الثاني المتغير في الحركة في هذه المرحلة حيث تعالت الأصوات مطالبة بتنقية الحركة ابتداء من الدخلاء عليها ومن تصفية المتعاونين مع إسرائيل، وهو ما سيؤول إلى مواجهة حقيقية ومتكافئة إلى حد كبير بين حماس وجيش الاحتلال على المستوى الاستخباري، وسيفقد الإسرائيليين الخاصية التي حصلوا عليها الآن وهي امتلاكهم لزمام الفعل، بعد أن كانوا في مرحلة سابقة حبيسي رد الفعل.

تدمير الروح المعنوية

لعل أخطر ما نجده من قراءتنا لتحيلات الصحف الإسرائيلية، هو محاولة بث الروح الانهزامية في أوساط الفلسطينيين في أعقاب عمليتي اغتيال الشهيدين ياسين والرنتيسي، وليس أدل على ذلك من التصريحات التي أدلى بها اليوم قائد حرس الحدود الإسرائيلي "دافيد تسور" لصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية والتي زعم فيها أن إسرائيل تعمل بشكل جيد للغاية في داخل حركة حماس من الناحية المخابرية، في إشارة إلى زرع المخابرات الإسرائيلية لعملاء داخل الحركة يسهلون عليها تنفيذ أهدافها.. وهذا أسلوب إسرائيلي دعائي معروف في التوجهات الأمنية الإسرائيلية والذي يهدف إلى بث روح اليأس غي نفوس الفلسطينيين، ومحاولة خداعهم بأنه يوجد حتى من الفلسطينيين من يقوم بالعمل مع إسرائيل.

نقل الصراع إلى سوريا

في هذه المرحلة –التي وصل فيها الصمت العربي الرسمي مداه- ارتأت إسرائيل ممثلة في حكومتها اليمينية المتطرفة بقيادة "اريل شارون" إلى محاولة تنفيذ المشروع الصهيوني الكبير بخطى سريعة، فلجأت أجهزة شارون الأمنية الى تسريب الأخبار والتصريحات التي تشير إلى أن يد تل أبيب لن تقف عند حدود غزة بل ستتعداها إلى اصطياد رؤوس الحركة في دول أخرى، وبعد هذه التصريحات خرج شارون ليكشف عن نيته الحقيقية، وعن الهدف الثاني من مخططه الصهيوني الكبير وهو نقل الصراع إلى خارج الأراضي الفلسطينية. ووفقاً لتقارير عبرية نشرها موقع "دبكا" العبري قبل أسابيع، فإن الظروف الدولية والإقليمية الجديدة التي برزت عقب الوجود الأمريكي في المنطقة منذ حرب الخليج الثانية، عززت الرغبة الإسرائيلية في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى السيطرة على المنطقة.

الانتخابات الإسرائيلية ورهان شارون

في ظل هذه المعطيات مجتمعة، فإن اريل شارون يراهن على مستقبله السياسي بقدرته على تنفيذ أكبر قدر من عمليات الاغتيالات ضد حركة حماس وقادتها بصفة خاصة وضد الفلسطينيين بصفة عامة، وهو ما يؤكده الكاتب "أمير أورن" في صحيفة هاأرتس بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي بات مقتنعاً بأن التفاف الشعب الإسرائيلي حوله في الانتخابات القادمة سيكون عبر جثث قيادات حماس. ويؤكد الكاتب على تلك الرؤية بنتائج الاستطلاعات التي تبثها مراكز الاستقصاء الإسرائيلية والتي أكدت على أن شارون قد ارتفعت أسهمه في أعقاب عمليتي اغتيال ياسين والرنتيسي..واغتيال الرنتيسي هي العملية التي أسهمت في رفع أسهم شارون كثيراً بسبب توقيتها ونوعيتها. في السياق ذاته، تشير صحيفة هاأرتس إلى أن عدم وجود منافس قوي لشارون على الساحة السياسية –رغم قضايا الفساد التي تلاحقه وأسرته- أدى برئيس الحكومة الإسرائيلية إلى المضي قدماً في تنفيذ مشروعه، في ظل دعم اليمين الإسرائيلي واليمين المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما تجلى في خطابات بوش لشارون التي ألغت حق عودة اللاجئين الفلسطينيين وأيدت الاعتراف بالمستوطنات كحق شرعي لليهود على الأراضي الفلسطينية.

وبالرغم من هذا الحشد الهائل للتقارير المشحونة ضد الشعب الفلسطيني من داخل الصحف الإسرائيلية، فإن تقريرا واحدا نشرته صحيفة "يديعوت احرونوت "العبرية 23-4-2004م كان كافيا لإبراز مناعة هذا الشعب، حيث أشارت فيه إلى حالة الدهشة الممتزجة بالحنق لدى الإسرائيليين من التبرعات المالية الكبيرة التي تبرع بها الشعب الفلسطيني للحركة قبل عشرة أيام لمواصلة عملياتها، وهو ما وصفته الصحيفة الإسرائيلية بأنه "تعبير عن التأييد الفلسطيني العارم لمشروع حماس المتمثل في مواصلة العمليات ضد الإسرائيليين".